ان الحركة القومية الاوروبية في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر لم تكن شيئا واحدا ، وإن حمل نفس الاسم وانما تتحدد الحركة القومية بمضمونها ومحتواها في الاساس ، وباتجاه حركتها وتياراتها واهدافها ، لا باسمها وشكلها الخارجي ، تتحدد بالمرحلة التاريخية التي تمر بها وتعبر عنها ، وطبيعة القوى والطبقات الاجتماعية التي تحركها أو تتصدرها وحتى تركبها . وقد عرضنا بتفصيل للمرحلتين المتميزتين اللتين مرت بهما هذه الحركة والتيارين الاساسيين فيها منذ نشأتها على يد البورجوازية الثورية الصاعدة في القرنين الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر ، وكانت قومية ديموقراطية ليبرالية وعقلانية ، ثم كيف انتكست في مرحلتها الثانية ، وتحولت الى قومية معادية للديمقراطية ، شوفينية عرقية على يد الطبقات البورجوازية الكبيرة والقبالة القديمة بعد فشل ثورات سنة ١٨٣٠ و ١٨٤٨ الديموقراطية وبعد كومونة باريس سنة ١٨٧١ بوجه الخصوص ، ثم دخلت مرحلة الامبريالية الكولونيالية وبرزت سماتها العدوانية والتوسعية .. وقد اصبحتا بازاء قوميتين متميزتين وتيارين متناقضين تماما .. امتان على حد تعبير دزرائيلي .. قومية وتيار الشعب العامل والطبقات الثورية والتقدم ، وتيار آخر ينتمي للطبقات الرجعية الامبريالية . فلم يكن من قبيل الصدفة أن تنشأ الصهيونية في المرحلة التي نشأت فيها ، وقد حملت منذ البداية كل سمات تيار القومية الرجعية الشوفينية والعرقية ، كما ارتبطت باهدافها الكولونيالية الاستعمارية فأصبحت من أهم تياراتها في غزو الشرق بحكم ظروفها الخاصة وطبيعة تراثها السلفي وافكارها المتوارثة ومن هنا فاذا ادعت الصهيونية بانها ابنة عصرها في اوروبا ، عصر القوميات فهي صادقة ولكن علينا أن نكمل السؤال : أبنة من على وجه التحديد ؟وربيبة اي طبقات؟ حتى لا تطمس ملامح الوليد ويضيع انتماؤه وهويته الحقيقية خلف اردية القومية الوطنية الكاذبة والمعماة .

العنصرية والتلفيقية

ولكن العصر لم يكن عصر القومية فحسب بل عصر الاشتراكية ايضا ، عصر البيان الشيوعي وكومونة باريس والحركات الاشتراكية الديموقراطية القوية في غرب وشرق أوروبا . ومن طبيعة المذاهب والتيارات العرقية اللاعقلانية انها تنشأ منعزلة متقوقعة لمجافاتها لروح العصر ، لذلك تلجأ لاكتساب الشعبية والجماهيرية التي تفتقدها ، وللخروج من عزلتها ، الى التلفيق وركوب الشعارات الرائجة وسرقة الدعوات والشعارات الجماهيرية بعد تزييفها وحرفها عن اتجاهها الصحيح ، فهذا ما فعله فاشية موسوليني عندما ركبت تيار الوطنية والسندكالية العمالية ، وكذلك نازية هتلر باشتراكيتها الوطنية الكاذبة ، ومن هنا ايضا لم يكن بالصدفة أن تحاول الصهيونية ركوب موجات القومية والاشتراكية معا . خاصة وأن جماهير اليهود كانت تشكل عادة وتلعب دورا بارزا في الحركة الثورية في بلادها سواء في الحركات القومية الاندماجية والديموقراطية أو الاشتراكية الراديكالية حتى اصبح اليهودي العالمي رمزا لمعاداة النظام في كل مكان ، وكان من اهداف البورجوازية اليهودية الكبيرة والمندمجة في بلادها وفي البورجوازيات الاوروبية حرف اتجاه الثوريين وتضليلهم بالشعارات العرقية السامية والمعادية للسامية ، وكان من اهداف البورجوازية اليهودية بالذات ومن مصلحتها ابعاد شبح يهود شرق اوروبا وتحويلهم عن الغرب كما هو معروف حتى لا تضار مصالحهم ولا تسقط في الحرج ، ومن هنا